خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية

أ. د. طه جابر العلواني

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤلف في سطور

الدكتور طه جابر فياض العلواني

- ولد في العراق – الفلوجة ١٩٣٥م .
- تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في العراق وحصل على الشهادة العالية من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر ١٩٥٩م .
- حصل على الماجستير ثم الدكتوراه عام ١٩٧٢م .
- أستاذ الفقه وأصوله في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سابقاً .
- شارك بتأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي في واشنطن عام ١٩٨١م والرئيس الحالي للمعهد وعضو مجلس الأمناء .
- عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .
- عضو مجمع الفقه الإسلامي بجدة .
- حقق كتاب المحصول في علم أصول الفقه بستة مجلدات وقامت بطبعه جامعة الإمام وهو قيد إعادة الطبع في الوقت الحاضر .
- له عدة مؤلفات وأبحاث أخرى .

نظرة تاريخية

تجتاز الأمة الإسلامية الآن مرحلة من العجز وفقدان التوازن إزاء مواجهة عدة تراكمات تكاثفت عبر الأجيال ، من تخلف حضارى ، وفقدان للهوية ، وأزمات إقتصادية واجتماعية ، إن الأزمة التى تعيشها الأمة عميقة الجذور . فلقد أحسّ المسلمون بالتخلف حين أفلت زمام الأمور فى العالم من أيديهم فى أواخر عهد الخلافة العثمانية وتمثل الغرب ماتعلمه من الحضارة الإسلامية فى الأندلس وصقلية ، وبنى لنفسه حضارة انتزعت القيادة من الأمة الإسلامية ، وحلت محلها فى تقرير مصير البشرية ، وآلت شمس هذه الأمة إلى الغروب . ويتطلب الخروج من حالة الضياع التى تعانى منها الأمة استقراء التاريخ . كى نتعظ ونعتبر بما يلقيه من ظلال على واقعنا ، وحتى نتتبع مسيرة الأزمة ومراحل تضخمها ، بغرض التعرف على حجمها والجهد الذى ينبغى أن يعد لعلاجها . وسوف نتتبع محاولات الإصلاح منذ أن بدأت بها الدولة العثمانية فى بداية القرنين الأخيرين .

تجربة الدولة العثمانية :

حين أحست الدولة العثمانية أن الحضارة الغربية المادية قد أصبحت مصدر خطر على وجودها ، بدأت فى مواجهة هذا الخطر المحدق . وكان ذلك بتقليد الأعداء فى الأمور التى نقلتهم إلى مواقع القوة ، عن طريق نقل معطيات التقنية الأوربية الحديثة بإيفاد البعثات من أبناء الأمة الإسلامية إلى أوروبا ، التى اغتنمت الفرصة وأعادتهم سهاماً تطعن الإمبراطورية المتداعية فى الصميم ، لتتهاوى على يد أبنائها الذين دعوا إلى الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالأسلوب الغربى ،

فكانت الدعوة القومية التى حمل لواءها الإتحاد والترق ، فى محاولة لإحياء القومية الطورانية ، مما أيقظ النزعة القومية فى البلاد التى كانت تتبع الخلافة ، وتمكنت العناصر القومية ودعاة التغريب من الإطاحة بالسلطان « عبد الحميد الثانى » ، وطُوى علم الخلافة ـــ العثمانية ، ووضع « أتاتورك » وأتباعه تركيا على طريق القطار الغربى . وانتهت هذه المحاولة إلى خلق كيان هزيل تحتل أعماقه من كانت بالأمس أحقر تابعيه وهى اليونان .

التجارب الأخرى

● تباينت أساليب الولايات المستقلة عن الدولة العثمانية فى معالجة المشكلات الموروثة عن الدولة الأم ، ما بين اتجاه نحو الأصول الإسلامية وتوجه نحو محاكاة الغرب ، فعلى الصعيد الإسلامى قامت حركات فى الهند واليمن والسودان وليبيا عملت كلها على إحياء العقائد والأصول الإسلامية . وفى الوقت ذاته تكونت أحزاب وجمعيات مثل الجمعية الطورانية ، وتركيا الفتاة ـــ بهرها التقدم الحضارى الغربى وصاحبتها تطلعات سياسية كان لها الأثر فى تمزيق الخلافة ـــ العثمانية . وبرزت بين العرب جمعية العهد لتنادى بالوحدة العربية التى تحولت إلى تيار حاكم مسيطر فى أكثر من بلد عربى فيما بعد . وكل هذه التيارات اجتمعت ـــ على تضارب مصالحها ـــ على إدارة ظهرها للإسلام والحل الإسلامى لأزمة الأمة ، وانتهت إلى انقسام قيادات المسلمين الراغبة فى التغيير إلى معسكرين أساسيين متباينين فى الرؤية والأهداف والشعارات

والتنظيمات والمنطلقات ، ومع إزدياد تحديات الحضارة الغربية ، قويت عوامل الإنقسام بين هذين الفريقين وتطورت خلافاتهما .

نتائج فشل محاولات الإصلاح

● كانت الصورة المشوهة التى أعطاها الحكم العثمانى فى عهوده الأخيرة عن نظام الحكم الإسلامى **ودولة الخلافة الإسلامية** سببا كافيا لكى يبدو الإسلام لدى عامة الناس وكأنه سبب أزمة هذة الأمة مما جعل الكثيرين من المثقفين مبهورين بالحضارة الغربية يتساءلون : هل يمكن للإسلام أن يجعلنا فى مستوى الغرب أو خيراً منه ؟!

ولم تتمكن هذه الفئة من التمييز بين مبادىء الإسلام القويمة ، وبين ممارسة الإسلام من قبل مسلمي ذلك الوقت ، فأصدرت حكمها الجائر على الإسلام كما أسلفنا . ولقد عبّر عن ذلك « أتاتورك » وحزبه ، و « أحمد خان » ومجموعته ، ونادى بدللك أيضاً « أحمد لطفى السيد» «وقاسم أمين » «وطه حسين » ، ومعظم من تأثروا بهم وتتلمذوا عليهم ، مع اقتناعهم بأهمية التغلب على مقاومة البنية الاجتماعية أو الدينية أو الثقافية القديمة لضمان النتائج وتحقيق التقدم الحضارى . ولقد تباينت مواقفهم تجاه الإسلام كل على حسب بيئته الأسرية أيام الطفولة . فمن بين قائل بالتخلى التام عن الإسلام وتراثه ، ومن قائل بإمكان التعايش بشىء من الدين مع إتمام البناء الحضارى بعيداً عنه ، ومنهم من يرى تجاوزه تماماً . واعتبر هؤلاء أن الموضوعية لازمة من لوازم العقل أو

العلم ، واختزلوا العقل واعتبروه مرادفا للعلم . وفى مقابل هؤلاء وقف المعسكر الثانى الذى يرى أن السبب فى تخلف المسلمين هو البعد عن الإسلام وقيمه ، مع إختلافهم فى التفاصيل ،فأرجع البعض الأمر إلى تشويه العقيدة أو ضعف الإيمان والإنشغال بالترف والبعض الآخر أرجعه إلى توقف حركة الجهاد منذ القرن الرابع الهجرى واتهام الشريعة بالعجز وتخلى الناس عنها ، أو إنتقال القيادة من أيدى العرب الفاقهين للرسالة إلى آخرين عجزوا عن فهمها وتطبيقها بالصورة المثلى ، أو الغزو الفكرى الإستعمارى الذى هدم الخلافة .

● إن المقدمات الخاطئة تسلم إلى نتائج خاطئة . وهكذا كانت الحلول المقترحة لكلا الطرفين مبنية على نظرة كل منهما لأسباب التخلف ، فالمعسكر الأول يرى البدء بالإصلاح العقلى والاجتماعى والسياسى حتى لو تطلب ذلك استخدام القوة والعنف ، وعلى النقيض يرى المعسكر الثانى ضرورة مقاومة الفكر الأجنبى وإحياء الثقافة الإسلامية ، وتنقية العقيدة من الشوائب ، والرجوع إلى الكتاب والسنة ثم استيعاب الحضارة الحديثة بعد تنقيتها من الشوائب وتكييفها مع أحكام وقيم الإسلام .

واقع المسلمين اليوم

● بعد إقصاء السلطان « عبد الحميد » الثانى ، ألقى السواد الأعظم من جماهير الأمة بزمام الأمور إلى الفريق الأول فى معظم الأقطار المسلمة متجهين نحو الغرب . وهكذا ألقى مسلموا تركيا لأتاتورك وحزبه بكل مقدراتهم مغمضى العيون قرابة نصف قرن من الزمان ، ولم يجنوا سوى

المرّ والعلقم ، من اقتصاد منهار وفقر مدقع وصراع دائم بين الرأسمالية والشيوعية . وفى مصر أُجهضت حركة محمد على التجديدية فى التصنيع والتعليم والزراعة وغيرها لعدة عوامل ، وأُفاقت الجماهير على دولة مثقلة بالديون يحكمها المندوب السامى البريطانى . ثم أطاحت القوات المسلحة المصرية بقيادة بعض ضباطها بنظام أحفادها « محمد على » ، وأعطى « عبد الناصر » للنظام الجديد صبغة قومية عربية تقدمية ، وأيده السواد الأعظم فى مصر وسوريا وكذلك الجماهير المسلمة العربية التى قبلت من التضحيات والتنازلات الكثير من أجل الحضارة والتقدم ، ولكن النظام تحول إلى تأليه للقيادة ، وبقيت الجماهير المسلمة تلهث وراء السراب حتى انهارت مكانة القيادة وسمعتها بعد سلسلة من الهزائم السياسية والعسكرية بدأت بالإنفصال بين مصر وسوريا ، وحرب اليمن ، وهزيمة (١٩٦٧) . وكانت لدى « عبد الناصر » فترة نادرة للمراجعة ونقد الذات بعد أن تشبثت الجماهير ببقائه رافضة استقالته ، ولكنه حّمل الإستعمار والرجعية النتائج المخرية لممارساته السياسية . وينسحب حال مصر على العديد من الدول العربية والإسلامية ، وما جنت غير الفقر والتخلف والجهل وفقدان العزة والكرامة والحرية .

الصراع بين المعسكرين

استمر المعسكران فى طرح الحلول على الساحة الإسلامية رغم فشلهما السابق ، وقد مضى على صراعهما قرن من الزمان منصرفين عن جوهر القضية الأصلية التى كانت السبب الرئيسى فى الصراع . وبالرغم من الفرص التى أتيحت للمعسكر الأول ليحقق شيئاً فى كثير من

الأقطار مثل تركيا ومصر ثم العراق وسوريا وأندونيسيا وباكستان وغيرها ، فقد فشل فى تحقيق الإصلاح العقلى أو الاجتماعى أو السياسى أو الاقتصادى . ولم يحقق المعسكر الثانى إلا ومضات هشة ضعيفة محدودة التأثير هنا وهناك مالبثت أن أُجهضت من قبل مراكز القوى المختلفة .

واستمر التناقض الشديد بين المعسكرين ، فيما يعتبره الفريق الأول وسيلة للنهضة والتقدم ، يعتبره الفريق الآخر مصدراً للعمالة والتبعية والتحلل والانحطاط . وكل مايعتبره الفريق الثانى مصدراً للأصالة وتحقيق الذات ، يراه الفريق الأول دعائم للتخلف . ويتفق المعسكران على أن الأمة تمر بأسوأ مراحل التخلف ، بينما يمسك كل منهما بطرحاته فى حل هذه القضية . ويجمع الفريقان **على أن وسائل إحداث التغير ثلاثة :**

(١) الإصلاح بطريق الدعوة والعمل السياسى السليم .

(٢) الإصلاح باستقطاب مراكز القوى لانتزاع السلطة وإحداث التغيير من خلالها .

(٣) الإصلاح من خلال تغيير مفاهيم الأمة وتحريضها على رفض الواقع وتنويرها لبلوغ الهدف .

نقد وتقويم وسائل المعسكرين

مما سبق نستطيع أن نضع كلا الفريقين وبصرف النظر عن سائر طروحاتهم فى خندق واحد فى موقفهما العقلى ، وهذا الموقف يدل على

اتحاد الجذور الفكرية لكل منهما ، ويرجع إلى عهد الصدر الأول من جيل النبوة حيث كان الحاكم هو كل شيء وبيده قدر الأمة ومصيرها وكان هذا هو سبب تشبث دعاة الإصلاح والنهضة بالسلطة وإهمال العوامل الأخرى من فكرية وثقافية مع أن الوصول إلى هذه السلطة قد يكون سبباً فى كشف عورات العديد من القيم والمبادىء التى تنهار حين تعجز عن التعامل مع الواقع ، وبالتالى تنهار ثقة الجماهير بها ، وكثيراً مايلتقى الفريقان فى تحالفات مرحلية بغرض الوصول للسلطة ، التى سرعان ماتنهار عند البدء فى توزيع الغنائم ، وتبدأ التصفيات التى تشغل الجميع عن القضية الجوهرية . ومثال ذلك ماتم بين مجاهدى خلق والماركسيين المسلمين وبين أتباع الخمينى لإنجاح الثورة فى إيران . وماتم بين كل من حزب البعث فى العراق ، والجبهة الوطنية فى سوريا وحزب الوفد فى مصر ، وماتم بين حزب العدالة فى تركيا وماتم بين قيادة الجماعة الإسلامية وبين ضياء الحق فى باكستان . إذ سرعان ماتنهار هذه التحالفات بسبب عدم الثقة بين الطرفين . ونجد أن اليسار من الفريق الأول يستولى على القيم التى يمثلها الفريق الثانى ويطورها وينادى بالاهتمام بالتراث الإسلامى بصورة علمية ثورية . ويبحث عن نسب له فى الجذور الإسلامية كأفكار « أبى ذر الغفارى » و « على بن أبى طالب » ــ رضى الله عنهما ــ

ويساعدهم هذا على تحقيق عدة أهداف وفى مقدمتها :

(١) الاستفادة من الشعارات الإسلامية فى تحريك الجماهير .

(٢) محاولة تبرئتهم من التبعية الفكرية الماركسية الغربية .

(٣) دفع القيادات الإسلامية إلى مناقشة النهضة والتقدم ونقل الحضارة مع ماتفتقر إليه هذه القيادات من رؤية متكاملة واضحة فى هذه القضايا .

(٤) المقدرة على الإنتشار من خلال استقطاب الجماهير هروباً من واقعها السيء .

وفى مقابل ذلك يكتف الإسلاميون حديثهم حول صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان كما يقومون بتعرية الماركسيين من الغلالة الإسلامية ومن ارتباطهم الفكرى بالجذور الإسلامية وولائهم لقياداتهم المعاصرة .

تقويم المحاولات السابقة

وهكذا انتهت محاولات الإصلاح وقد انكمشت دولة الخلافة إلى رقعة من الأرض تشغل القواعد الأجنبية جزاءا منها ، والولايات المستقلة قد احتُل أجزاء من أرضها ، وأنشق كيان مصطنع على أرض أولى القبلتين وثالث الحرمين . ولا يخفى على أحد التردى الاقتصادى والاجتماعى الذى وصلت إليه الأمة الآن **من خلال مجموعة من المظاهر الآتية :**

مظاهر الأزمة :

قد يتوهم الناس أن الأمة الإسلامية قد أضحت فى خير وعافية على يد قيادات تاريخية ، ويضيع صوت الحق فى خضم هذا الضجيج الإعلامى . ولعل أزمة هذه الأمة يرجع بعضها إلى الأفراد ، والبعض إلى

الجماعات والمؤسسات والكثير إلى الممارسات الرسمية ، ومن أهم مظاهرها : فقدان الإحساس بالأمن لدى الجماهير اليوم ، وانعدام الثقة والخوف والإنطواء والسلبية وضيق الأفق واليأس من كل تغيير نحو الأفضل . ومما يزيد من هذه المظاهر التصدى لعلاجها بتبنى ردود الفعل تجاه التطرف بدلاً من الأخذ بأسباب الحضارة بشكل مخطط مدروس ، ومن مظاهر هذه الأزمة أيضاً الاعتقاد بدور لليهود فى كل أحداث هذا الوجود ، وكذلك انحطاط الممارسات السياسية . كما فقدت الأمة أصالتها وقدرتها على الإبداع ووقعت تحت سيطرة المقلدين التابعين .

نقد المراجعات

بدأت مشاعر الرغبة العارمة فى المراجعة والنقد الذاتى تظهر بقوة بعد فشل سائر محاولات الإصلاح ، وكثرت أحاديث الدعوة إلى إعادة النظر فى المفاهيم والنظريات التى كانت مطروحة حين اتسعت رقعة الخلل فى هذه المرحلة من حياة الأمة . ولم يعد هناك اختلاف بين كل الفصائل السياسية والشعبية على الأزمة القاتلة التى تعيش فيها الأمة ، ومحاولة كل التيارات الفكرية أن تقدم تفسيراً لهذه الأزمة — كل من وجهة نظره الفكرية والثقافية وحسب مصالحه أحيانا . كما أن الأنظمة الحاكمة وأجهزة إعلامها قد ركبت موجة التفسيرات ملقية بالمسئولية على هذا الخصم أو ذاك المعسكر أو العنصر ، حتى يمكنها الإحتفاظ برصيد جماهيرى مع تجاهل التحديد الجاد والصادق لأسباب الأزمة . أما أعداء الأمة الإسلامية فيحاول بعضهم إلقاء التبعية على التمسك بالدين وظهور اللاعقلانية والسلبية ، والبعض الآخر يؤكد أن تكوين

العقل المسلم هو مأأدى إلى هدا الحال ، وكل ذلك للتغطية على حقيقة الأزمة . كما أن عمليات النقد والتقويم لم تقترن بالشروط الموضوعية اللازمة لإنجاح عمليات المراجعة والنقد الذاتى أو بطرح البديل الموضوعى الصالح من ناحية أخرى ، ومن هنا بدأت عمليات المراجعة ذاتها فى إفراز الكثير من الآثار السلبية .

بوادر الصحوة

بعد تلك المرحلة الطويلة فى ظل محاولات الإصلاح وعمليات المراجعة التى أعقبتها ولم تكن إلا سرابا ، أصاغت الجماهير المسلمة سمعها لنداءات العودة إلى الإسلام من جديد ، والتى وصلتها من على المنابر **ودور تعليم القرآن الكريم** وبقايا العناصر الإسلامية المؤمنة ، ولقد كانت دوافع العودة نفسها إلى الإسلام متنوعة ، فمن الإحساس بقرب انتهاء الدنيا ، إلى الاعتقاد بإقبال الدنيا على الإسلاميين إلى الإحتكام للعقل والموضوعية .

وهناك أمران يجب أن يضعهما المعسكر الإسلامى بوضوح فى كل تحركاته على الساحة الإسلامية الأول : أن عودة الجماهير المسلمة إلى الإسلام ليست بالصحوة النهائية إلا إذا تلقت الاستجابة الكاملة لطموحاتها ، والحل الأمثل لمشكلاتها .

والثانى : أنه لابد للإسلاميين من أن يحرصوا على نقل الإسلام إلى واقع الناس اليوم ، لاعلى نقل الناس إلى الواقع التاريخى الذى يذكرهم بالممارسات الخاطئة فى أواخر عهد الخلافة العثمانية .

أزمة الأمة الفكرية

إن أزمة هذه الأمة هى أزمة فكرية تندرج تحتها سائر الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . والأزمة الفكرية إما أن تحدث نتيجة لاضطراب مصادر الفكر ، أو اختلال طرائقه أو مناهجه ، أو عن ذلك كله معاً . وهى تنشأ عن قابلية واستعداد . ولقد تجسدت هذه الأزمة فى غياب الرؤية الواضحة ، وانعدام الأصالة الثقافية والتوازن النفسى ، واضطراب المفاهيم ، وازداوجية التعليم ، واختلاط الأهداف وانهيار الأنظمة والمؤسسات . ثم إن اضطراب البناء الفكرى للإنسان المسلم هو التفسير المقنع لسائر ظواهر التخلف ــ بمفهومه الشامل ــ المتفشية فى سائر أجزاء الأمة الإسلامية .

مكانة العقل فى الإسلام

استخلف الله ــ عز وجل ــ الإنسان فى الأرض وكرمه على سائر المخلوقات بالعقل الذى يمكنه من أداء رسالته . وكانت دعوة القرآن الكريم للعقل فى ارتياد آفاق الكون ، واكتشاف نواميسه ، لتتواءم حياة الإنسان مع مسيرة الكون . ولقد حدد الله ــ جلت حكمته ــ للعقل مجال فاعليته ، كما حدد الآفاق التى لاينبغى للعقل أن يبدد فيها طاقته . ولقد وردت مادة (عقل) وتصاريفها فى تسع وأربعين آية من الكتاب الكريم . وجاء ذكر العقل فى ست عشرة آية أخرى بمادة (اللب) . كما ورد ذكر العقل فى القرآن العظيم فى مادة (الفؤاد) ست عشرة مرة منها سبع مرات اقترن فيها السمع والبصر بالفؤاد . ووردت مادة (فكر) فى كتاب الله ثمانى عشرة مرة . ولقد تعرضت السنة كثيراً

لبيان فضل العقل وشرفه وأهميته ، وبيان أهم خصائص العقلاء وصفاتهم ولقد اتفقت الكلمة على أن أهم مقاصد الشرائع على اختلافها هو حفظ الضروريات الخمسة التى تشمل : الدين والنفس والعرض والمال ، فضلاً عن العقل الذى يعتبر أشدها ضرورة وأهمية وجلّها متوقف عليه .

لماذا الحديث عن العقل :

● إن ديناً يضع العقل فى قمة ضروريات الحياة حرى بأن يسود هذا العالم ، وكان أحق بقيادة البشرية ، لهذا نرى ضرورة الحديث عن العقل وأثره فى المنهاجية الإسلامية ، ولابد لنا من وضع العقل فى موقع الريادة منها .

الخروج من الأزمة

● بعد هذا العرض السريع لتلك المحاولات التى بذلت لإعطاء تفسير مقنع لأزمة الأمة الإسلامية ، فإننا نستطيع أن نؤكد أن البحث عن المتهم لن يعطى الأمة الحل المنشود ، بل إن معظم قوى التغيير المخلصة لابد أن تتخلى عن مجموعة السلبيات ، وتأخذ بأسباب التغيير من الإيجابيات التى تعرض لبعضها ، حتى تجد سبيلها للخروج من هذه الأزمة بالعقلانية الإسلامية التى استطاع بها الرعيل الأول القفز بهذه الأمة إلى مواقع القيادة البشرية .

تحديد مكان العقل :

إن المنهج الإسلامى يضع الوحى فى مقدمة مصادر المعرفة ، كما يحدد للعقل مجال وآفاق تحركه حتى لايبدد طاقته فى عالم الغيب . وكل معرفة

فى الإسلام لابد من التدليل عليها ، والدلالة تكون من تتبع الآثار ، وأى حكم من الأحكام ينبغى أن يستدل عليه فقط بدليله ، إن الجفاف الروحى الذى يشكو منه الغرب الآن قد وصل إليه بإهماله معطيات الوحى ، واستخدام العقل وحده ، بينما نجد المسلمين قد اعتراهم التخلف حين أهملوا دور العقل واعتبروا الكون وارتياد آفاقه للعبرة ، والاتعاظ ، وليس لاكتشاف النواميس وتسخيرها لخدمة البشرية .

تحرير العقل المسلم

إن العقل المسلم قد فُرض عليه الإنغلاق داخل طروحات تبلورت فى أوضاع وأزمنة وأمكنة مختلفة ، أصبحت تتحكم فى رؤيته لمواجهة الواقع المعاشى ، مما أورثه العجز عن تجديد وتحديد أدواته من خلال هذا الواقع . ونتيجة لذلك الإنغلاق أصبح الإنسان المسلم عاجزاً عن معالجة قضايا الواقع إلا من خلال فتاوى وأفكار من سبقوه ، وذلك بالقياس عليها أو التلفيق بينها ، مما جعل الكثير من طروحاته تصطدم بالواقع فى بعض الأحيان ، ولعل هذا العجز هو المسئول الأول عن بُعد هذا الواقع عن الإسلام . « وعلى الإسلاميين أن يجعلوا كل مايقدمونه واضحاً فى أذهانهم وأذهان الأمة ، وأن يكون عملياً ، يمكن تطبيقه فى الواقع والحياة . »

حل الأزمة الفكرية

● يحدد الناس مواقفهم من سائر قضايا الحياة من خلال الفكر والمعرفة والثقافة ، ولن يتضح الطريق إلى التبديل الثقافى باتجاه الإسلام قبل أن تحسم وتحل الأزمة الفكرية لدى المسلمين . وإنه لأمر خطير أن توضع

الجماهير المسلمة أمام خيارين لاثالث لهما : إما الاستبداد والفقر ورفض الحضارة بدعوى صون الإسلام ، وإما الحرية والغنى والعدل فى ظل منهج غير إسلامى ، كأن الإسلام عاجز عن الجمع بين الحسنيين .

المراجعة الفكرية الشاملة وإصلاح مناهج الفكر :

● لابد لنا من معرفة مواقع الفكر الإقليمى والقومى بشقيه الماركسى والليبرالى ومدى عمق جذوره فى عالمنا الإسلامى ، حتى تتمكن قوى التغيير الإسلامى من معالجة التراكمات السابقة ومعرفة حجم التحدى الذى نواجهه ، ولابد من مراجعة فكرية شاملة متحررة من كل الضغوط النفسية والتاريخية ، لإعادة تقديم الفكر الإسلامى إلى الأمة كفكر إيجابى مؤثر بناء ، واستبعاد القضايا التى شغلت العقل المسلم فى الماضى . « **إن الوصول إلى ما نريد من المراجعة يحتاج فى نظرنا ـــ إلى المرور بالمراحل التالية :**

(١) مرحلة المراجعة الشاملة بقصد التصحيح والنقد الذاتى ، ثم الانطلاق إلى البناء الفكرى المطلوب وفق قواعد سليمة .

(٢) مرحلة المراجعة والتصحيح فى البناء الثقافى ، وتنقية التراث من كل معوقات التقدم .

(٣) مرحلة تعميم المناهج الصحيحة ونشرها وتربية الأمة عليها كجزء أساسى من ثقافتها .

(٤) مرحلة بناء وتصميم التنظيم الاجتماعى الإسلامى من حيث التوجهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . « **ولابد لنا من إصلاح**

مناهج الفكر الإسلامى ، وتجديد بناء الثقافة الإسلامية من خلال برامج إسلامية المعرفة وتحرير العقل المسلم وإعطائه فرصة الإبداع لإيجاد التغيير الحضارى الكامل . »

بلورة منهاجية جديدة

● لابد للخروج من الأزمة ـــ من بلورة منهاجية جديدة تقوم على مايلى :

(١) تحقق تصور حضارى يمكّن من بناء أمة ومجتمع ودولة حديثة قوية متماسكة تقوم على احترام الإنسان كخليفة الله فى الأرض .

(٢) تحويل ذلك القصور إلى شق ثقافى يمكن تقديمه لسائر فصائل الأمة بشكل يحقق مناعتها به.

(٣) العمل على تربية الأمة وفقاً لذلك الشق الثقافى الذى يعيد بناء كيان الإنسان والكون والحياة .

(٤) تصور مجموعة من المؤسسات الحضارية القادرة على حماية دلك الشق الثقافى ، والوسائل التربوية القادرة على تجديد الذات باستمرار .

إن تحقيق التصور الحضارى الإسلامى يبدأ بدرجات عميقة فى قضايا الفكر ومناهج إصلاحه ، وينتهى بإسلامية المعرفة وطرح البديل الثقافى المتكامل ، وذلك بالعودة الواعية للتعامل مع الكتاب والسنة . كذلك يحتاج إلى جملة الجهود المكثفة فى مجال تيسير التراث ثم نقده وتمييزه ليصبح عامل دفع إلى الإمام .

رؤية حضارية متكاملة

لابد للإسلاميين من طرح رؤية حضارية متكاملة حتى تستمر مظاهر الصحوة والعودة الجماهيرية إلى الإسلام . هذه الرؤية تعالج مشكلات الأمة القائمة بكل أنواعها ، وتضع الأمة على طريق التقدم والحضارة ، وتعوضها عما فات ، وتستجيب لسائر التحديات . وهم مطالبون اليوم بتحديد طبيعة الحضارة المراد قيامها ، وبيان عناصر مستقبلها وقوانين حركتها ، وتمييز ماهو جوهرى أساسى فى بناء الحضارات ، وماهو عرض ، ولابد من معرفة كيفية تحقيق الإستخلاف الإلهى فى الأرض . إن مواجهة عوامل التفكك والتحلل التى تعم العالم الإسلامى بجرأة وواقعية ، ومن ثم إلتزام أسس مواجهة التحدى الحضارى والتعرف على القوى الفاعلة وأهدافها يضع قدم الأمة على الطريق الصحيح لاستعادة موقعها ومكانتها فى العالم . كما إن إعادة طرح الأفكار والمفاهيم والقيم والنظم المختلفة بشكل يحقق صلاحيتها وفاعليتها وعقلانيتها ، ليس أفضل الحلول فحسب ، بل إنه الحل الوحيد لسائر مشكلات الأمة . ويضاف إلى ماسبق أن على قوى التغيير الإسلامى إتباع أسس منهاجية الصدر الأول والسلف الصالح لهذه الأمة حتى تفلح فى إخراجها من أزماتها ، وذلك مع تقدير البعد الزمانى والمكانى بحيث تحصر التصرفات فى المنطلق نفسه الذى كان يوجه حياة ذلك الجيل . وقد يُفرض علينا استخدام وسائل مخالفة لتلك التى عوّل عليها ذلك الجيل ولكننا نضع نصب أعيننا أن الأهداف النبيلة لاتحقق إلا بالوسائل الشريفة . كما أنه لابد من استعادة المظلة التى كان رجال الصدر الأول يستظلون بها فى عملية الربط العقلى المحكم بين النصوص والوقائع .

وضوح مفهوم صلاحية الشريعة :

إن قدرة الشريعة الإسلامية على تلبية سائر الاحتياجات لحياة البشرية أمر مسلم به ولايقبل الجدل ، ولايقتصر الأمر على الاحتياجات التشريعية فقط كما يقول الإسلاميون فى طروحاتهم ، ولكن المطلوب هو الصلاحية القادرة على تحقيق النهضة وبناء الحضارة من جديد ، وهذا يقتضى وجود منهجية سليمة ، ومنطق فكرى سليم ، وعقلية بناءة ، وشروط ثقافية كاملة ، ثم تأتى قضية التقنين الفقهى لتضع الضوابط والقيود التى تحمى الحقوق ، وتحدد الواجبات والمسئوليات وتصون الضروريات ، لقد أصبح الفكر خاضعا للممارسات السياسية والاجتماعية ، تتحكم فيه بدلا من سيطرته عليها ، وذلك بسبب الجدل العقيدى والمذهبى ، والجدل حول أحداث الواقع التاريخى ، والانشغال فى رد تهجم الخصوم اليومى على الأمة الإسلامية . إن كثيراً من التساؤلات تدور الآن فى أذهان أبناء الأمة وكثيراً من الجدل يتردد الآن : هل الوصول إلى السلطة هو الخطوة الأولى للإصلاح ، أم الفكر والثقافة والتربية هى نقطة البداية ؟ ... وهل الأزمة الآن هى أزمة إيمان ، أم هى أزمة حدود وتطبيق أحكام ؟ وهل علينا أن نقطع صلتنا بالسياسات القائمة بعد اقتناعنا أنه لايرجى منها خير ، أم علينا الخوض فى بعضها فنجنى بعض الورود ، دون أن تدمى الأشواك أيدينا ؟ » إن على قوى التغيير الإسلامى أن تحدد مواقفها من كل هذه السياسات التى تعج بها الساحة الإسلامية حتى تتمكن من التحرك على بيّنة من أمرها .

استبعاد النظرة الجزئية :

لعل أكبر عائق يحول دون تقدم الشريعة الإسلامية بالصورة المثلى هو النظر الجزئى إلى المنهج الإسلامى لدى كثير من حملة الفقه والدعاة ، وكذلك التشبث بالمنهج الإستنباطى وحده ، والتغاضى عن موقع الحكم الشرعى بين مجموعة عوامل البناء الحضارى ، وعدم ربط المنهج الاستنباطى من النصوص بمناهج التجريب والاستقراء . إن الأصوليين القدماء قد بينوا الأركان الأربعة للحكم الشرعى وهى : الحاكم ، والمحكوم عليه ، والمحكوم به ، ثم المحكوم فيه . وتعرضوا لعوارض الأهلية ، أما فى الوقت الحاضر ، فإن الحكم الشرعى يقدم بمعزل عن تلك العوامل ، فإذا أحس المسلم بالعجز عن التطبيق لعجزه عن تصوره ، رفض هذا الحكم ، وإذا رفض الحكم ، دب النزاع .

ولابد لقوى التغيير الإسلامى أن تخرج نفسها من آفاقها الضيقة التى تعيشها ، حتى تستطيع أن تتلمس الطريق ، وتضع أقدامها حيث يجب أن يبدأ منه الإنطلاقة ، إن الطرح التاريخى لحل المشكلات المعاصرة لم يعد مقبولاً أو مجدياً . وإن الاقتصار على التوجه نحو الماضى والتاريخ لن يجدى فتيلاً إذا لم يقترن بتحليل دقيق وبناء للفكر والأسس المعرفية التى حققت تلك الإنجازات التاريخية ، وبذلك تستطيع قوى التغيير الإسلامى الاحتفاظ برصيد المشاعر الطيبة التى عادت تنشد الحلول لمشكلاتها من المنطلقات الإسلامية .

كسب ثقة الجماهير :

إن الأحكام الشرعية لم تكن فى عهد الصدر الأول ، ولاينبغى أن تكون فى وقت ، مجرد فتاوى تفرضها السلطات العليا على الناس ، بل كانت جزءا من إيمان ويقين الجماعة بأنها سياج لأمنها وعنصر جوهرى فى بناء حضارتها ، ولو طبقت هذه الأحكام فى زماننا هذا بدون إيجاد الظروف العصرية الملائمة ، لما أعطت النتائج التى أعطتها تاريخياً . إن على الإسلاميين أن يقدموا هذه الشريعة من خلال قيمها المتكاملة ، ودون المساس بالأصول والثوابت فيها ، إلى مئات الملايين من المسلمين الذين يحبون شريعة الله ، ويؤثرونها على تطبيق أى نظام وضعى من وضع البشرية . إن استعادة ثقة جماهير الأمة بأهلية الإسلام هى مهمة قوى التغيير الإسلامى ، فعليها ان تقدم الإسلام بالصورة التى تقنع الأمة بأنه قاعدتها ووسيلتها للحركة باتجاه البناء والحضارة .

الخطوات العملية

لقد أصاب التغيير خارطة القوى الاجتماعية فى جميع أنحاء العالم الإسلامى منذ انهيار دولة الخلافة العثمانية ، ولم يعد من الممكن اقناع الناس بصلاحية الإسلام للخروج بالأمة مما تعانية ، من خلال مخاطبة المشاعر أو من خلال الحوار العقلى المجرد ، بل لابد من اتخاذ المواقف وعرض الطروحات فى مواجهة القوى التنظيمية والإقليمية والقومية والحركة الحزبية ، مما سيرغم كافة تلك القوى على التخلى — مرغمة — عن موقعها لقوى التغيير الإسلامى وأفكارها .

فهرست

صدر في هذه السلسلة :

١ ـ محمد المبارك : نظام الإسلام العقائدى فى العصر الحديث .

٢ ـ د . طه جابر العلوانى : خواطر فى الأزمة الفكرية والمأزق الحضارى للأمة الإسلامية .

٣ ـ محمد معين صديقى : الأسس الإسلامية للعلم .

٤ ـ د . عبد الحميد أبو سليمان : قضية المنهجية فى الفكر الإسلامى .

٥ ـ د . إسماعيل الفاروقى : صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية .

٦ ـ د . زغلول راغب النجار : أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية .